٥٠
لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة الثالثة ـ العدد السادس (صفر-رجب ١٤٤٤)

الكرونا و الشُّرور و المعتقدات الدِّينيَّة

د. رضا برنجكار

«إِنَّ طَاعَةَ اللهِ ... نَجَاةٌ مِنْ كُلِ شَرٍّ يُتَّقَى»[١]

إذن؛ فالخير و الشَّر يعودان إلىَ الإنسان و إختيار، فما ينبغي الرَّدّ عليه في شبهات الشَّر؛ هو الشَّر بالمعنىَ الأوَّل.

الشُّرور و أصل وجود الله

في فلسفة الدِّين و الكلام الجديد، كانت شبهة الشُّرور بإعتبارها محاولة في مقابل أصل وجودالله تعالىَ. و من هنا؛ كانت «مسألة الشَّر» بمثابة أكثر نقد عقلائي جديَّةً علىَ الإعتقاد بوجودالله سبحانه .. إلىَ الحدِّ الَّذي اعتبر «هانس كونغ» المتألِّه الألماني ملجأً للإلحاد ..[٢] و قد قرَّرت هذه الشُّبهة بأشكال مختلفه .. فبعض ك «جان مكي» عدُّوا الشرَّ متناقضاً و صفات الله الأصليَّة .. فيما لم يعتبر بعض آخر، مثل «إدوارد مدن» الشرَّ غير متناسب مع الأوصاف الإلهيَّة .. و لكنَّهم ذهبوا إلىَ أنَّ المعتقدات الدِّينيَّة ليس لها أن تبيِّن ما يقبله الفعل و تفصله عن الشَّر.. و أطلقوا علىَ الشُّبهة الأولىَ عنوان: «مسألة الشَّر المنطقيَّة» و علىَ الشُّبهة الثَّانية عنوان: «مسألة الشَّر بمنزلة القرينة».[٣]

و هنا؛ سنحقِّق في مسألة الشَّر المنطقيَّة، و ذلك أنَّه ضمن البحث في مسألة الشَّر

١. الكليني، الكافي، ج ٨، ص٨٢.
٢. بترسون و ديكران، عقل و اعتقاد ديني (فارسي) ص ١٧٧.
٣. نفس المصدر، ص ١٧٨ و ١٨٤.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

المنطقيَّة، و كذا بحث حِكم الشُّرور سيتَّضح الجواب علىٰ مسألة الشَّر بمنزلة القرينة.

مسألة الشَّر المنطقيَّة

مسألة الشَّر المنطقيَّة بإختصار هي: أنَّ الأديان الإلهيَّة تدَّعي أنَّ لله ثلاث صفات أصليَّة: «العلم المطلق» و «القدرة المطلقة» و «إرادة الخير المطلقة». و من جهة أخرىٰ؛ كانت هذه الصِّفات الثَّلاث غير متناسبة مع الشُّرور .. و عليه؛ فمع وجود الشُّرور في العالم، ينبغي الإستنتاج و القول بعدم وجودالله ...[1]

و لدىٰ إيضاح هذا التَّناقض يقال: إنَّ وجود الشُّرور إمَّا أن يكون بعدم علم‌الله بها، و إمَّا أن يكون جهله هوالَّذي أدَّىٰ إلىٰ إيجاد الشُّرور .. أو أنَّ له بها علم و لكنَّه يفتقر إلىٰ القدرة علىٰ منع تحقُّق الشُّرور، أو أنَّه له علم بها و له القدرة علىٰ منع تحقُّقها .. و لكن لمَّا كان غير مريد للخير للإنسان علىٰ سبيل الإطلاق .. فهو يضطرّهم إلىٰ بعض الشُّرور ..

الجواب المختار علىٰ مسألة منطقيَّة الشرّ

قد وردت عدَّة ردود و أجوبة علىٰ هذه الشُّبهة .. إذ كانت بعض الإجابات مثل: «إنكار العلم و القدرة الإلهيَّة المطلقة» من قبل «باحثي الإلهيَّات» و هي إجابة لم تكن مسايرة للقواعد الدِّينيَّة ..

و ثمَّ إجابات و ردود أخرىٰ، مثل: «إنكار واقعيَّة الشُّرور» و «توهُّم الشُّرور» من قِبل بعض الأديان الهنديَّة[2]. و كذا فرقة «المعرفة المسيحيَّة» الَّتي أسَّستها السَّيِّدة «ماري بيكرادي» في الولايات المتَّحدة.[3]

و هذا الرَّدّ مخالف لوجدان الإنسان، حيث فسَّر الشَّرّ علىٰ أنَّه بمثابة ألم .. كما أنَّه مخالف للنُّصوص المقدَّسة للأديان الإلهيَّة الَّتي تعدّ الشُّرور أموراً واقعيَّة حقيقيَّة .. و لذلك؛ لم يحظ هذا الردّ بالقبول منها.

---

١. جيك إل مكيْ، «الشَّر و القدرة المطلقة» مجلة كيان (فارسي) العدد ٣، ص ٥.
٢. هيوم، أديان زنده جهان (فارسي) ص ٣٥٨.
٣. هيغ، فلسفة دين (فارسي) ص ٩٠.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

وعليه؛ ينبغي أن يتمحور البحث علىٰ «إرادة الخير الإلهيَّة»، أو يلزم القول بأنَّ وجود الشَّر متناقض مع «إرادة الخير الإلهيَّة» .. لأنَّ الشُّرور المحدودة أو الشُّرور الإبتدائيَّة يمكن أن تكون مقدَّمة لمحدوديَّة الخيرات. أو ينبغي نقد المفهوم من إرادة الخير المطلقة الَّتي أدَّت إلىٰ القول بهذه الشُّبهة .. وهذان الردَّان قابلان للجمع .. وهنا سندقِّق النَّظر في الرَّد والجواب الثَّاني كما سنعالج الرَّد والجواب الأوَّل في طوايا البحث ..

إنَّ معنىٰ إرادة الخير المطلقة أنَّ الله تعالىٰ يريد الخير للإنسان علىٰ الدَّوام، ولكنَّ يجب أن ينظر إلىٰ معنىٰ إرادة الخير هذه .. فتقسم الإرادة إلىٰ قسمين: «إرادة التَّشريعيَّة» و«إرادة التَّكوينيَّة» .. والمقصود من «إرادة الخير التَّشريعيَّة الإلهيَّة» أنَّها تعلَّقت بأن يبلغ الإنسان إلىٰ خير الدُّنيا والآخرة .. وهذا الأمر والتَّعلُّق يتطلَّب إعطاء العقل للإنسان؛ مضافاً إلىٰ بعثة (١٢٤) الف نبيّ ووصايا خلفائهم وأوصيائهم؛ وإرشاد وهداية الإنسان إلىٰ مسار الخير وسوقه بإتِّجاه الخيرات .. وهذا هو معنىٰ إرادة الخير الَّتي تقبلها الأديان الإلهيَّة .. مع أنَّ هذا المعنىٰ لايتعارض مع وجود الشُّرور، لأنَّ الإرادة التَّشريعيَّة الإلهيَّة قائمة علىٰ المطلب والأساس القائل بأنَّ البشر لدىٰ مواجهة الشُّرور بحاجة إلىٰ الصَّبر والإستقامة ليصلوا إلىٰ خير الدُّنيا والآخرة .. فالشُّرور إذن لاتتعارض ـ بهذا المعنىٰ ـ لإرادة الخير الإلهيَّة فحسب، وإنَّما هي عين إرادة الخير في جانب الله تعالىٰ، وأنَّ الشُّرور هي وسائل يمكن الوصول من خلالها إلىٰ خير الدُّنيا والآخرة ..

أمَّا إذَا كَان المراد من إرادة الخير المطلقة أنَّ الله تعالىٰ أراد ـ تكويناً ـ أن ينال الإنسان جميع اللَّذَّات والرَّفاه الدُّنيوي، دون أن يمسُّه شر أو يصادفه مرض ومنغّص .. فهذا يعني أنَّ إرادة الخير هذه هي ذاتها «قاعدة الأصلح» بالمعنىٰ الخاصّ؛ والمتأخِّرة في علم الكلام الَّتي لايقبلها أكثر المتكلِّمين، وطبعاً هي متعارضة ووجود الشَّر والأمراض .. فمعنىٰ إرادة الخير هذا؛ لا هو ممكن ولا هو واجب ..

إنَّ إرادة الخير المطلقة التَّكوينيَّة غير ممكنة، إذ بكلّ مقدار تتوفَّر اللَّذَّة والرَّفاه للبشر، فالعقل أكثر منها إمكانيَّة، لأنَّ اللَّذَّات والرَّاحة والرَّفاه لا حدود لها، ومهما كان مقدارها

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

وعددها، سيكون ما هو أكثر منها إمكاناً ... أمَّا القول بأنَّ البشر محدودون و يعجزون عن تلقِّي اللَّذَّات الأكثر، أو أنَّهم يواجهون شروراً أقلّ، فهذا ما هو مخالف للوجدان .. و إنَّه لا مانع من تلقِّي اللَّذَّات الأكثر، و لا وجود لإحتمال أن يقل التَّعرُّض للشَّر الأقلِّ ..

مع أنَّ الله تعالىٰ قادر علىٰ أن يضيف و يضاعف ظرفيَّة البشر علىٰ تلقِّي اللَّذائذ .. كما يفعل سبحانه ذلك في الجنَّة ..

إنَّ إرادة الخير المطلقة التَّكوينيَّة غير واجبة أيضاً .. لأنَّ إيجاد اللَّذَّات و الرَّفاه في طبقة الفضل و الإحسان؛ دون العدل؛ و الفضل و الإحسان غير واجبين علىٰ الباري تعالىٰ، و إنَّما الواجب هو العدل؛ بمعنىٰ إعطاء الحقِّ، و إنَّ إستثمار اللَّذَّات ليس من الحقوق الإنسانيَّة الواجبة علىٰ الله تعالىٰ ..

و ثمَّ دلائل عديدة علىٰ هذا المطلب سنتناولها في مبحث (قاعدة الأصلح)، و هنا نذكر جملة من هذه الدَّلائل:

١ـ عدم الدليل

إنَّ إثبات التَّكليف و توجيهه إلىٰ الله بحاجة إلىٰ دليل، و إنَّ عدم الدَّليل لردِّ التَّكليف كافٍ .. و من ناحية أخرىٰ؛ لا دليل عقليَّاً و لا نقليَّاً علىٰ وجوب إعطاء جميع اللَّذَّات ..

٢ـ عدم التَّقبيح العقلي لعدم إعطاء النِّعمة و اللَّذَّة

لو كان إعطاء جميع اللَّذَّات أمراً واجباً، كان علىٰ العقل ـ بشكل بديهي و واضح ـ أن يستقبح عدم إعطاء كلِّ لذَّة كانت .. و الحال أنَّه لا وجود لهكذا تقبيح عقلي بديهي ..

٣ـ الدُّعاء ...

يطلب النَّاس في أدعيتهم من الله ـ تبارك إسمه ـ اللَّذَّات و النِّعم الَّتي يفتقدونها و يفتقرون إليها .. والله تعالىٰ من جانبه أمر بالدُّعاء .. فيما المعصومون يطلبون النِّعم المادِّيَّة و المعنويَّة من الله في أدعيتهم .. و لو كان إعطاء اللَّذائذ الدُّنيويَّة واجباً علىٰ الله .. لكان الله قد فعل ذلك من قبلُ علىٰ سبيل الحتم، و ما كان ثَمَّ حاجة

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

للدُّعاء و الطَّلب من الله .. فلو كان إعطاء جميع الرَّفاهيَّة و اللَّذَّات أمرا واجباً، لكان الدُّعاء و الطَّلب لها لغواً و أمرا عبثاً ..

٤ـ لزوم شكر النِّعم، و الرِّضا بالقدر و القضاء الإلهيّين فيما يرتبط بعدم وجود النِّعم ..

لقد دعا القرآن و الأحاديث الناس ـ من جهة ـ إلى شكر النِّعم الإلهيَّة، و طلبت من النَّاس ـ من جهة أخرى ـ أن يرضوا بالقدر و القضاء الإلهيّين؛ حتّى مع افتقاد النِّعم .. و لو كان إعطاء جميع النِّعم واجباً على الله، ما كان للشُّكر على النِّعم و لا الرِّضا بعدم النِّعم معنىً أبداً.

٥ـ عدم تحقُّق بعض النِّعم

يدرك النَّاس ـ بصورة بديهيَّة و وجدانيَّة ـ أنَّهم يفتقرون لبعض النِّعم و اللَّذَّات .. و هذا ما يشير إلى أنَّ إعطاء جميع اللَّذَّات غير واجب على الإنسان، إذ لو كان واجباً لاقتضى العدل الإلٰهي أن يؤدِّي الله الحقوق الواجبة ..

و نتيجة هذا؛ أنَّه إذا كان المراد من إرادة الخير المطلقة هو ذاته المعنى التَّشريعي، لكان الله مريداً للخير على سبيل الإطلاق .. و لكنَّ هذا المعنى لإرادة الخير غير متعارض مع وجود الشُّرور .. و إن كان المراد هو المعنى التَّكويني؛ فإنَّ العقل و النَّقل لم يوردا هذا المعنى ضمن أوصاف الله ليكون التَّعارض مع الشُّرور بإعتباره دليلاً على ردِّ وجود الله تعالى.

جدير بالذِّكر؛ أنَّ بعض فلاسفة الدِّين المعاصر، مثل رابرت مري هيو آدامز، يذهبون إلى أنَّ صفة إرادة الخير الإلهيَّة المطلقة لم ترد في متون التَّوراة و الإنجيل، و إلى أنَّ العقل لايحكم بكون إرادة الخير المطلقة ممكنة أو واجبة.[1]

و من المناسب هنا أن ندقِّق في أشهر الأجوبة المطروحة بخصوص مسألة الشَّر المنطقي في فلسفة الدِّين .. و هذا الجواب دفاع قائم على إختيار «الوين بلانتينغا» ولاريب أنَّ معظم الأجوبة الخاصَّة بمسألة الشَّر، و لا سيَّما «الشَّر الأخلاقي» يستعان فيها بإختيار الإنسان.

١. آدامز: «هل على الله أن يخلق الأفضل؟» مجله كيهان انديشه (فارسي) العدد ٦٢، ص ٩٧-١٠٩.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

نقد جواب بلانتينغا: «الدِّفاع القائم علىٰ الأختيار»

جواب «بلانتينغا» متمحور ـ من جهة ـ علىٰ الشَّر الأخلاقي. و ذلك أنَّه علىٰ أساس جواب أغوستين الَّذي هو موضع قبول أكثر النَّصارىٰ، فإنَّ الشُّرور الطَّبيعية هي نتيجة الشُّرور الأخلاقيَّة و خطايا و ذنوب البشر.. و من جهة أخرىٰ؛ تمحور جوابه علىٰ صفة القدرة الإلهيَّة.

و خلاصة إجابة بلانتينغا هي أنَّه لدفع التَّعارض بين الشُّرور و بين وجودالله الموصوف بالصِّفات الثَّلاث المذكورة، فقد ساق البحث ضمن قدرةالله و قال: لم يكن‌الله ليستطيع خلق موجودات تبلغ ـ بإختيارها ـ الكمالات الأخلاقية، و من جهة أخرىٰ؛ أن تختار هذه الموجودات المختارة الخير دوماً، لأنَّ البشر المختار؛ يختارون الشَّر أحياناً علىٰ سبيل الإمكان .. و عليه؛ و لكي يمنع‌الله الشَّر، كان عليه أن يسلب الإنسان قدرة الإختيار، فنتج عن ذلك حرمان الإنسان من الخير الأخلاقي و الكمالات المعنويَّة .. فكان وجودالله ـ نظراً لهذا المطلب؛ حيث يريد للإنسان من الخير الأخلاقي و الكمالات المعنويَّة .. فكان وجودالله ـ نظراً لهذا المطلب؛ حيث يريد للإنسان أن يبلغ الخير الأخلاقي ـ مقتضياً لإنتاج الشُّرور .. فلا تعارض في هذه الحالة بين وجودالله و بين الشُّرور.

و أشكل النَّقاد بالقول: إن لازم كون‌الله قادراً مطلقاً أن يستطيع خلق موجودات مختارة لا تسقط في الشَّر الأخلاقي أبداً ..

أمَّا ردّ بلانتينغا؛ فهو: العالم الَّذي يكون فيه الأفراد ـ دوماً ـ مختارين في البقاء ضمن طريق الصَّواب؛ عالم ممكن بلا شكّ، و لكن خلق هكذا وضع ليس بيدالله و لا قدرته .. و الواقع هو أنَّ مخلوقات مختارة في هكذا عالم و بإنتخابهم الحرّ يعملون علىٰ تحقق هذا العالم.. فيما القائلون بالدفاع القائم على الاختيار يؤكّدون على أنَّ‌الله لا يستطيع يحدِّد أفعال الأشخاص المختارين.[1]

---

١. بترسون و ديكران، عقل و اعتقاد ديني (فارسي) ص ١٨٣.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

وهكذا، يقبل بلانتينغا أنَّ عدم إرتكاب الإنسان المختار الذُّنوب ممكن ذاتاً، أمَّا إذا أراداللهـ في مرحلة الوقوعـ أن لايرتكب إنسان مختار، خطأً ما، فعليه أن يقيِّد أفعالهم ... وإنَّ التَّقييد هذا متعارض الإختيار ..

والمنتقدون، ومنهم «مكي» و«فلو» أشكلوا بأنَّ إختيار الإنسان مع الموجبيَّة و التَّقييد الإلهي أو الطَّبيعي متناقض..

وفي النِّهاية؛ يردّ بلانتينغا بأنَّ الإختيار متعارض ضرورة العلِّيَّة والتَّعيين الإلهي أو الطَّبيعي[1].

ويبدو أنَّ الإشكال الأخير لـ«مكي» و«فلو» غير وارد، وكذا ردّ بلانتينغا غير صحيح. والإشكال في كلام «مكي» و«فلو» أنَّ التَّعيُّن الضَّروري للأفعال؛ وسواء كان منشأه العلل الطَّبيعيَّة، أو العلل الإلهيَّة، فإنَّه يجعل من فعل الإنسان ضروريّاً، وكما قال المتكلِّمون، فهو بمعنىٰ القدرة علىٰ الفعل أو تركه ...

والإشكال علىٰ ردّ بلانتينغا هو أنَّ الله قادر علىٰ كلِّ أمر ممكن، والموجودات المختارة الَّتي لاتذنب أمر ممكن .. وفضلاً عن ذلك؛ أنَّ هذه الموجودات المختارة غير المذنبة لها وجود في الواقع .. ومصاديقها الأبرز هم المعصومون عليهم السلام والملائكة علىٰ أساس نظريَّة صحَّة إختيارهم .. فهي من مصاديق هذه الموجودات ...

ولدىٰ إيضاح المطلب؛ يمكن أن يقال: إنَّ الله تعالىٰ ـ ومن طرق مختلفهـ قادر علىٰ أن يصنع عالماً لايذنب فيه البشر.. وإحدىٰ هذه الطُّرق: أن لايجعل فيهم الميل والرَّغبة إلىٰ إرتكاب المعاصي، مع جعل الرَّغبة والميل فيهم إلىٰ القيام بالأعمال الصَّالحة والطَّيِّبة .. وهذا الجعل قد كرَّسه الله تعالىٰ في الملائكة وهم يعبدون الله تعالىٰ بإختيارهم .. وحيث أنَّهم لاميل فيهم لممارسة الذُّنوب، فإنَّه لايتصوَّر فيهم ممارسة الخطايا ووقوعها منهم .. ولو أنَّهم تصوَّروا ذلك، فإنَّه لاميل فيهم إلىٰ الخطأ ناهيك عن أن يوسوسوا لأنفسهم بها .. ومثلهم في ذلك مثل

١. نفس المصدر، ص ١٨٠-١٨٤.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

الإنسان الَّذي ينعدم فيه الميل إلىٰ أكل الزُّجاج أو النَّجاسة .. فهو بذلك لايخطر في ذهنه أيضاً أن يتناولهما.

٣ـ الشُّرور و وحدانيَّة الله

مورد آخر ممَّا يرفع ازاءَه الإشكال؛ وحدانيَّةالله تعالىٰ و صفة التَّوحيد .. و هذا الإشكال قد طرح من قِبل «الثَّنويَّة» و أكثر شيء قد توزَّط فيه النَّصارىٰ .. و قد أوجد هذا الإشكال في النَّصرانيَّة الغنوسيَّة و المانيُّون .. ناهيك عن وجود هذا الإشكال في الأوساط الزردشتيَّة .. كما تسرَّب هذا الإشكال في اليهوديَّة و اليونانيِّين .. و لكنَّه بلغ غايته في القرن الثَّاني للميلاد: حتّىٰ وصف بأنَّه صار تهديداً جدِّيّاً للفكر النَّصراني .. و قد أضحت أنظمة عديدة من الغنوسيَّة بين النَّصارىٰ، مثل: غموسيَّة كرينتوس[1]، المرقيون[2]، الاوفيتيون[3]، الباسيليدس[4]، و النتينوس[5].

و الغنوسيَّة نوع تلفيق بين النُّصوص النَّصرانيَّة و اليونانيَّة .. حتّىٰ أنَّ الغنوسيَّة كانت تعتبر المعرفة بديلاً عن الإيمان و العمل الصَّالح المقرّبه في الأديان، و خالفت كلّ ما له صلة بالشَّريعة .. و الخاصِّيَّة المشتركة بين فرق الغنوسيَّة المختلفة هي نوع ثنويَّة، و منشأها الشَّر، و هي في الأصل عائده إلىٰ المادَّة.

و إستدلال الغنوسيِّين علىٰ الثَّنويَّة هو: لأنَّ المادَّة شرٌّ .. فهي لاتستطيع أن تكون مخلوقاً إلٰهيَّاً خيّراً. و بعض الغنوسيِّين عدّوا المادَّة مخلوقاً لـ«آرخون الكبير» الَّذي كانت اليهود تعبده؛ و أعلن عن نفسه إلٰهاً .. و طبعاً؛ فإنَّ الغنوسيِّين و خلافاً للمانويين الَّذين تلوهم لايجعلون مبدأ الشَّر ـ بشكل تامّ ـ في عَرَض الله، و إنَّما يذهبون إلىٰ أنَّ مبدأ الشُّرور أدنىٰ من الله ...

و قد واجه آباء الكنيسة، و أهمَّهم «إيرانوس القدِّيس» الغنوسيِّين؛ و منهم الثَّنويَّة و

1. cerinthus
2. Marcion
3. Ophites
4. Basilides
5. Alentinus

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

أدلىٰ بأوّل ردّ علىٰ شبهة الشُّرور[1].

وكان إيرانوس يعتقد بأنَّ النَّاس كانوا ناقصين في البداية، وإنَّما تكاملوا بالتَّدريج ضمن إختياراتهم الأخلاقيَّة .. وفي هكذا حالة طبيعيَّة أن يضطرّ الأفراد إلىٰ الشَّر الأخلاقي .. وعليه؛ فإنَّ الخير الأخلاقي متوقّف ومنوط بإختيار الإنسان وتطوُّره والإختيار الإنساني هذا ينجرّ ـ شاء الفرد أم أبىٰ ـ إلىٰ بعض الشُّرور الأخلاقيَّة أحياناً .. كما أنَّه يعتبر الشُّرور الطَّبيعيَّة أموراً واقعيَّة، ويذهب إلىٰ أنَّ هذه الشُّرور أرضيَّة لنمو وتكامل الرُّوح ..

«جان هيك» الفيلسوف الدِّيني المسيحي المعاصر؛ دافع عن نظريَّة إيرناؤس لدىٰ الردّ علىٰ مسألة الشُّرور، وقال في إيضاح نظريَّة إيرناؤس:

طبقاً نظريَّة إيرناؤس في العدل الإلهي، فإنَّ غاية الله لم تكن خلق الجنَّة ليلتذَّ ساكنوها بما فيها منتهىٰ اللَّذَّة أو أن لايشعروا بأدنىٰ الألم والعذاب .. وإنَّما لينظر إلىٰ العالم بإعتباره مكاناً لتربية الرُّوح وتكاملها؛ أو لنقل: لصناعة الإنسان .. وفي هذا العالم يتبدَّل الأفراد الأحرار ـ عبر أداء التَّكاليف ومواجهة ومصارعة الظُّروف المتعارضة ـ وضمن بيئة مشتركة إلىٰ كائنات مقرَّبة من الله، وليكونوا وارثي الحياة الأبديَّة.[2]

وطبقاً لإجابة إيرناؤس، فإنَّ الشُّرور الطَّبيعيَّة ومنشأ الشُّرور الأخلاقيَّة، يعني إختيار الإنسان شرط ضروري لتكامل بني البشر وتقريبهم إلىٰ الله .. وعليه؛ فلا حاجة لأن نعثر أو نبحث عن مبدأ آخر ـ غير الله ـ للشُّرور الأخلاقيَّة والطَّبيعيَّة ..

وعلىٰ فرض صحَّة هذا المطلب القائل بأنَّ الحكمة من جعل الإختيار في أفراد الإنسان وخلق الشُّرور الطَّبيعيَّة لتربية وتكامل هؤلاء الأفراد .. إلَّا أنَّ مطلب وجود الشُّرور الطَّبيعيَّة وكذا وجود الإختيار بحيث ينجرَّ إلىٰ الشَّر الأخلاقي لتكامل الأفراد بالضَّرورة .. يبدو أنَّه غير صحيح .. وفي الواقع؛ يجعل من الله محدوداً .. وذلك أنَّ القادر المطلق كان يستطيع ومنذ البداية أن يغلق أفراد البشر كاملين؛ ولا حاجة للشُّرور في ذلك، حتّىٰ مع إفتراض لزوم أن يخلقهم ناقصين .. فالقادر المطلق كان

١.

٢. هيك، فلسفة دين (فارسي) ص١٠١.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

يستطيع أن يسوق البشر إلىٰ الكمال من طرق أخرىٰ غير الشُّرور[1]. كجعل الميل و الرَّغبة إلىٰ الصَّالحات فيهم، و عدم جعل الميل و الرَّغبة فيهم إلىٰ السَّيِّئات .. نعم؛ يمكن أن يقال: إنَّ سنَّة الله ـ بهذا التَّرتيب ـ تهدف إلىٰ تربية الأفراد، و الفعل هذا حكيم؛ كما هو واضح.

لقد نمت و انتشرت المانوية بين النَّصارىٰ في القرن الرَّابع الميلادي .. و كانت العقيدة المانوية تذهب إلىٰ الثَّنويَّة القائلة بوجود أصلين و مبدأين:

الأوَّل: مبدأ الخير و النُّور، أو الله، أو أورمزد.

و الثَّاني: مبدأ الشَّر، الظَّلام، يعني: الشَّيطان.

و كانت نفس الإنسان الَّتي هي من النُّور؛ مخلوقة لمبدأ الخير.. و لكن بدن الإنسان الَّذي هو من مادَّة أقلَّ خلوصاً و صفاءً، مخلوق لمبدأ الشَّر.[2]

«أغوستين» (٣٥٤-٤٣٠م) الَّذي خرج عن النَّصرانيَّة في شبابه بدليل شبهة الشُّرور و مال إلىٰ دين المانوية .. و بعد أن صار نصرانيّاً و طوىٰ المراحل الرُّوحانيَّة الكنسيَّة حتىٰ صار أسقفاً أعظم .. كرّس جهده لمواجهة المانوية و ألَّف كتباً في ردِّهم .. أمَّا جوابه؛ فهو ـ بالضدّ و في النُّقطة المقابلة لجواب إيرناؤس .. و الحال أنّ ايرناؤس يرىٰ أنَّ الإنسان بدءاً ناقص؛ و يلزمه بإختياره أن يبلغ الخير الأخلاقي .. أمَّا أغوستين فيرىٰ الإنسان كاملاً بدءاً، و يذهب إلىٰ أنَّه بداعي حصول الإنحراف و الذَّنب في الإنسان؛ تظهر الشُّرور الأخلاقيَّة .. و كذلك حيث يعتبر إيرناؤس الشُّرور الطَّبيعيَّة شروراً واقعيَّةً و مخلوقة من مخلوقات الله؛ و هي من جملة لوازم تكامل البشر.. يعتبرها أغوستين أموراً عدميَّة .. بمعنىٰ أنَّها ليست مخلوقات لله .. و طبعاً ثمَّ نقطة إشتراك بين الرجلين، و هي التَّأكيد في البحث علىٰ الشُّرور الأخلاقيَّة، و إعتبار إختيار الإنسان منشأً لهذه الشُّرور..

و جواب أغوستين علىٰ شبهة الشُّرور عند المانويين الثَّنويين؛ أنَّ حقيقة الشَّرِّ إستدبار الإرادة الإنسانيَّة لله تعالىٰ .. فالشرّ الوجودي ليس بمعنىٰ أنَّ الله قد خلقه. و بتعبير آخر: إنَّ الخير بمعنىٰ النَّظم و التَّناسب .. و نظم و تناسب مخلوق الله .. فيما

١. بترسون و ديكران، عقل و اعتقاد ديني (فارسي) ص ٢٠٦.
٢. كابلستون، تاريخ فلسفه (فارسي) ج ٢، ص ٥٣.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

الشَّر هو إنعدام النَّظم و عدم التَّناسب الَّذي منشأه الإرادة الإنسانيَّة و عدم التَّناسب مع الإرادة الإلهيَّة، أو الإنحراف عن الله.[1]

و لهذا الردّ جذر في فلسفة «أفلاطون» و «فلوطين» إذ يعدَّ أفلاطون الخير و الجمال واحداً و يرجعهما لدىٰ محاورة «فيلبوس»؛ إلىٰ النَّظم و المقدار و التَّناسب،[2] كما عدَّ عمل الصَّانع في محاورة «تيماؤس» إيجاد النَّظم وفقاً لنموذج المثل .. هو يقول:

«لأنَّ الله أراد أن يكون جيّداً بالحدِّ الممكن؛ و ليس سيّئاً .. و حيث رأىٰ أنَّ كلَّما هو محسوس و قابل للرُّؤية لاثبات و لااستقرار، و أنَّه مصاب بحركة غير منظَّمة .. و لذلك بدل عدم النَّظم نظماً ...»[3]

و علىٰ هذا؛ فمن وجهة نظر أفلاطون، لم يكن الشَّر و عدم النَّظم مخلوقاً لله، و إنَّما هو عائد إلىٰ المادَّة الَّتي هي ليست مخلوقة لله ...

و فلوطين يعدّ الشَّر أمراً عدميَّاً، و يذهب إلىٰ أنَّ ما هو صادر عن الله وجودٌ، و وجود خيرٍ.. و هذا الرَّأي أخذه الفلاسفة المسلمون عن فلوطين ...

و علىٰ أيّ حال؛ فحينما عاد الشرّ إلىٰ إرادة الإنسان، لم تعد ثَمَّ حاجة إلىٰ البحث عن إله آخر يقابل إله الخير.. أمَّا الإشكال الآخر هنا هو جواب أغوستين بخصوص الشَّر الأخلاقي .. إذن؛ فما هو منشأ الشَّر الطَّبيعي؛ مثل الأمراض؟ فهو لايستطيع إرجاع ـ مثل افلاطون ـ الشَّر و عدم النَّظم إلىٰ المادَّة الَّتي كانت أزليَّة و غير مخلوقة لله. و ذلك أنَّ من وجهة نظر افلاطون أنَّ العالم كلَّه مخلوق الله .. و هو لدىٰ الإجابة علىٰ هذا السُّؤال يعتبر الشُّرور الطَّبيعيَّة إنحرافاً عالميَّاً؛ و هو خيرٌ ذاتيّاً .. و أنّ منشأ هذا الإنحراف هو ذنوب الإنسان. و العالم كان ـ كما الإنسان ـ في بداية الخلقة كاملاً و منظَّماً، ثمَّ إنَّه بداعي انحراف بعض الملائكة و بعد انخداع آدم و حواء و معصيتهما، ثمَّ هبوطهما إلىٰ الأرض، ثمَّ ذنوب أولادهما .. حدثت الأمراض و السُّيُول و الزَّلازل .. ففي الواقع إنَّ إنحراف البشر تسبَّب في إنحراف الطَّبيعة .. و

---

١. نفس المصدر، ص ١٠٧–١٠٨.

٢. افلاطون، دوره آثار افلاطون (فارسي) ج٣، ص ١٧٠٢ (فقره ٦٤) و ص ١٧٠٤ (فقره ٦٦).

٣. نفس المصدر، ص ١٧٢٦ (فقرة ٣٠).

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

عبارة آغوستين معروفة حيث قال: «الشُّرور إمّا الذَّنب، أو عقوبة الذَّنب».[1]
و كان لجواب آغوستين تأثير في النَّصرانيَّة الأثر السَّابق علىٰ جواب إيرناؤس.
و إنَّ أحد إشكالات نظريَّة آغوستين أنَّه و إن كان كثيراً من الشُّرور عبارة عن عقوبة علىٰ ذنوب البشر، و لكن دائماً ما كان البشر يُبتلىٰ بهذه الشُّرور، ليس عقاباً علىٰ ذنوبهم .. فالمشاكل الَّتي تعرَّض عيسىٰ المسيح [عليه السلام] أو الأنبياء الآخرون و سائر المعصومين [عليهم السلام] لم تكن بداعي ذنوبهم، لأنَّهم لايذنبون أساساً ..
و الإشكال الآخر هو: لماذا انحرفت الملائكة و أذنب البشر و هم الَّذين كانوا كاملين في البدء؟ و يجيب آغوستين قائلاً: لأنَّ ميزة الإختيار أنَّ المختار يمكن أن يختار الذَّنب .. و لدىٰ الرَّدّ يقال: فلماذا لا يختار الأنبياء و المعصومون الذَّنب و هم المختارون؟!
و الإشكال الآخر هو أنَّ الشَّواهد التَّاريخيَّة تشير إلىٰ أنَّ البشر و علىٰ مرِّ التَّاريخ و تحت مظلَّة تعاليم الأنبياء؛ كانوا يتطوَّرون و ينمون عموماً .. رغم أنَّ بين النَّاس مَن صالحاً و مسيئاً.[2]
و ردَّنا علىٰ الثَّنويَّة هو أنَّه لو قَبِل شخص نظريَّة الصُّدور و الفيض لفلوطين، فإنَّ الجواب الَّذي يستطيع أن يردَّ به علىٰ شبهة الثَّنويَّة هو عدميَّة الشُّرور، و هذا هو ذات الجواب الَّذي كان يدلي به فلوطين و فلاسفة المسلمين، إذ بالبناء علىٰ نظريَّة الصُّدور و لازمها في سنخيَّة العلَّة و المعلول، حيث لايمكن صدور الشَّر عن الخير، و إن عدَّ أحدهم الشَّر وجوديّاً، فلا بدَّ له في تبرير و توجيه رأيه من أن يعتقد بمبدأ الشُّرور إلىٰ جانب مبدأ الخيرات .. و المثير هنا أن نعلم بأنَّ الملا هادي السَّبزواري قد أدلىٰ بعدميَّة الشُّرور لدىٰ ردِّه علىٰ شبهة الثَّنويَّة، فقال:

«و الشَّر إعدام؛ فكم قد ضلَّ من يقول باليزدان ثمَّ الإهرمن؟!»[3]

(بعنوان مبدأ الخيرات و الشُّرور).
أمَّا علىٰ أساس تعاليم «الخلقة و الفاعليَّة بالإرادة» الأديان الإلهيَّة الَّتي طالما آمن

---

١. هيك، فلسفة دين (فارسي) ص ٩٤.
٢. نفس المصدر، ص ٩٦-٩٧.
٣. السَّبزواري، شرح المنظومة، ج ٣، ص ٥٢٨.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

بها متكلِّمو الأديان الإلهيَّة؛ و منهم المتكلِّمون المسلمون و كذا أكثر فلاسفة النَّصارىٰ، و منهم إيرناؤس و آغوستين، فإنَّ‌الله قادر علىٰ أن يخلق الشُّرور؛ و لا حاجة إلىٰ البحث و العثور علىٰ مبدأ غيرالله للشُّرور .. و طبعاً و ـ علىٰ أساس صفة الحكمة ـ إنَّ خلقة الشُّرور لابدَّ أن تكون لها حكمتها و غايتها .. و ذلك ما سنتناوله في إطار (الشُّرور و صفة الحكمة).

٤- الشُّرور و العدل الإلهي

أكثر المشاكل شيوعاً أوجدها موضوع الشُّرور بين النَّاس هو ما يرتبط بمسألة العدل و الحكمة الإلهيَّة .. و قد نوقش في علم كلام المسلمين الشَّرّ بعنوان الألم و الأذىٰ في ذيل مباحث العدل الإلهي .. و العدل الإلهي في إصطلاح علم الكلام، هو بحث مهتمّ بأفعال‌الله من حيث القيمة، أي: الحسن و القبح، و من هنا؛ كان العدل بمعنىٰ تنزيه‌الله عن فعل القبيح .. و القاضي عبدالجبَّار المعتزلي و بعد أن اعتبر العدلَ لغةً بمعنىٰ «توفير حق الغير و استيفاء الحق منه» أو: «إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه» قال:

« و أمَّا في الإصطلاح؛ فإذا قيل: إنَّه تعالىٰ عدلٌ، فالمراد به؛ أنَّ أفعاله كلَّها حسنة و أنَّه لايفعل القبيح و لايخلّ بما هو واجب عليه »[1]

و السَّيِّد المرتضى قال:

« الكلام في العدل؛ كلام في تنزيه‌الله سبحانه و تعالىٰ عن فعل القبيح و الإخلال بالواجب »[2]

و الشَّيخ الطُّوسي كتب أيضاً:

« الكلام في العدل؛ كلام في أنَّ أفعال‌الله كلَّها حسنة و ليس فيها قبيح ».[3]

و علىٰ هذا الأساس، فإنَّ جميع الصِّفات الإلهيَّة من حيث القيمة تنطوي تحت مظلَّة العدل الإلهي .. و من هنا؛ كان بحث الحكمة فيه، و هذا ما سيرد فيه البحث في ذيل مباحث العدل الإلهي ..

١. عبدالجبَّار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٣١.
٢. الشَّريف المرتضىٰ، شرح جمل العلم و العمل، ص ٨٣.
٣. الطُّوسي، تمهيد الأصول، ص ٩٧.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ في بعض الإجابات ثمَّ إشكالاً في العدل الإلهي من حيث بحث الحكمة الإلهيَّة وأنَّ الشُّرور لم تكن عبثاً وأنَّ لها حكمتها .. وبعبارة أخرىٰ؛ ثمَّ إشكالان في البين. الأوَّل: بخصوص المتحمِّل للألم و المتعرِّض للظُّلم. و الإشكال الثَّاني: إنَّه علىٰ فرض عدم الظُّلم؛ فإنَّ تعريض الآخرين للألم و الأذىٰ عبث و خلاف للحكمة.

وعليه؛ فإنَّ في بحث إشكال العدل ترانا مضطرِّين إلىٰ الإشارة إلىٰ بحث الحكمة .. وطبعاً سنفصّل القول في بحث الحكمة، ولاسيَّما فيما يرتبط بحكم الشُّرور..

وجذوة القول إنَّ فكرة الشُّرور في مقابل العدل الإلهي يمكن تقريرها بما أدناه:

١- إيجاد الشَّر بمعنىٰ إيجاد الألم والأذىٰ. وإيجاد الألم في الآخرين، قبيح وظلم، وعليه؛ يقبِّح العقل فعل مَن يلحق الأذىٰ بالآخرين ويعدُّه ظلماً..

٢- إنَّ الله عادل ولايرتكب قبيحاً.

٣- بالنَّتيجة؛ إنَّ الله لايوجد الشَّر، في حين أنَّ الشَّر موجود.

٤- و المتكلِّمون الأشاعرة و كذا فلاسفة المسلمين حيث لايعتقدون بالحسن و القبح العقليّين فإنَّهم لايرون جدارة في عرض هذا الإشكال .. وفرض هذا الإشكال هو أنَّ تلك الأفعال حسنة أو قبيحة ذاتاً و أنَّ عقل الإنسان قادر علىٰ إدراك هذا الحسن و هذا القبح .. ومن هنا؛ وبعد إدراك قبح أذىٰ الآخرين يرد الإشكال القائل بأنَّه لما كان الله عادلاً ولايفعل القبيح فلماذا يتسبَّب بالأذىٰ ؟!

وكما ذكر، فإنَّ منشأ الشَّر إمَّا أن يكون من البشر، واسم هذا النَّوع من الشَّر؛ الشَّر الأخلاقي، أو يكون الله منشأه؛ واسمه: الشَّر الطبيعي.

وقد طرح متكلِّمو الإماميَّة و المعتزلة لدىٰ الإجابة علىٰ إشكال الشَّر الأخلاقي نظريَّة «الانتصاف» فيما طرحوا نظريَّة «العرض» لدىٰ الرَّد علىٰ إشكال الشَّر الطَّبيعي ..

في البدء نطرح بحث الشَّر الطَّبيعي الَّذي منشأه الله .. وبخصوص هذا النَّوع من الشُّرور، قسم المتكلِّمون الشُّرور إلىٰ قسمين؛ الشُّرور الإستحقاقيَّة أو الجزائيَّة، وكذا الشُّرور غير الإستحقاقيَّة وغير الجزائيَّة، أي الشُّرور الإبتدائيَّة. فالشُّرور الإستحقاقيَّة هي العقاب علىٰ الذُّنوب، وحقّ المذنبين وعين العدالة ..

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

أمَّا فيما يتعلَّق بالشُّرور الإبتدائيَّة؛ فقد طرحوا نظريَّة العوض .. و العوض يمكن أن يكون نفعاً أكبر من الألم، و يمكن أن يكون دفعاً للضَّرر أكثر من الألم، و بتعبير الخواجه الطُّوسي:

« لإشتماله على النَّفع أو دفع الضَّرر الزَّائدين».[1]

وجهة النَّظر الأولىٰ؛ رأي «أبوعلي الجبائي» و أتباعه حيث عدُّوا هذا النَّوع من الشُّرور إشكالاً على عدالة الله، فطرحوا نظرية «العوض» دفعاً و رفعاً لهذا الإشكال.

و وجهة نظر الثَّانية، رأي «أبوهاشم الجبائي» و أكثر متكلِّمي المعتزلة و الإماميَّة حيث يعدُّون هكذا شرور إشكالاً على عدالة و حكمته، فطرحوا نظريَّة «العوض و اللُّطف» .. فهؤلاء يرون ـ لخروج فعل الشَّر من الظُّلم ـ يلزم أن يعطي الله عوض الشَّر.. و لخروج فعل الشَّر من العبث، يلزم أن تتوفَّر حكمة اللُّطف في الشَّر.. و أنَّ الله ـ بإيجاد الشَّر ـ يسوق أفراداً لطاعته و دينه. و هذه الحيثيَّة من الشَّر متعلِّقة بحكمة الله .. و سيأتي الكلام فيها في بحث الحكمة ..

و علىٰ هذا الأساس؛ فإنَّ النَّظريَّة الأولىٰ خاطئة، كما أنَّ العوض للخروج من الشَّر من القبح غير كافٍ، كما أنَّ اللُّطف واجب إلىٰ جانب العوض ..

قال السَّيِّد المرتضىٰ:

«يجوز أن يفعل الله سبحانه الألم في البالغين و غير البالغين من غير تقدُّم إستحقاق له. و وجَّه حُسنه أنَّه فيه إعتبار للمكلَّف يخرجه عن كونه عبثاً و فيه عوض يخرجه من كونه ظلماً. و لابدَّ من إجتماع هٰذين الوجهين فيه»[2].

و الرَّأي الثَّالث الَّذي نسبه العلَّامة الحلِّي في (كشف المراد) إلىٰ بعض المشايخ، و في (أنوار الملكوت) إلىٰ بعض المعتزلة. و نقله الفاضل المقداد عن عبَّاد بن سليمان الصيمري (م ٢٥٠ ق) من أعيان المعتزلة .. أنَّه يعدّ اللُّطف كافياً لإخراج الشُّرور الطَّبيعيَّة الإبتدائيَّة عن القبح، و لايرىٰ حاجة إلىٰ القول بنظريَّة العوض. و بعبارة أخرىٰ: يكفي أمر من أمرين لإخراج الشَّر الإبتدائي عن القبح؛ إمَّا العوض أو اللُّطف ..

---

١. نفس المصدر، ص ٣٢٩

٢. الشَّريف المرتضىٰ، شرح جمل العلم و العمل، ص ١١١.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

قال العلَّامة الحلّي:

«و جوَّز بعض المشايخ إدخال الألم على المكلَّف إذا إشتمل على اللُّطف و الإعتبار، و إن لم يحصل في مقابلته عوض، لأنَّ الألم كما يحسن لنفع يقابله؛ فكذا يحسن لما يؤدّي إليه الألم»[1]

و ينبغي أن يلتفت إلى أن ثمَّ تفاوت بين اللُّطف في النَّظريَّة الثَّانية .. إذ في النَّظريَّة الثَّانية كان يمكن أن يكون متعلّق اللُّطف الشَّخص المبتلى نفسه بالألم؛ كما يمكن أن يكونوا أفراداً آخرين، لأن هذا اللُّطف جواب على شبهة عبثيَّة الشَّر، الَّذي يمكن أن يحلّ بمطلق اللُّطف هو الشَّخص المبتلى بالألم .. لأنَّ اللُّطف في هذه النَّظريَّة لابدَّ أن يزيح إشكال الظُّلم لشخص واحد.

و يكتب العلَّامة الحلِّي في موضع آخر:

« و قال بعض المعتزلة: إن كونه لطفاً كافٍ في حسنه إن كان لطفاً لنفس المكلَّف».[2]

و يقول الفاضل المقداد:

« و قال عبَّاد بن سليمان الصيمري: كونه لطفاً كافٍ في الحسن إذا كان للمتألِّم».[3]

و قال الحمصي الرَّازي:

« فأمَّا الإيلام لمجرَّد حصول المصلحة فيه؛ فإن كانت المصلحة الحاصلة فيه لغير المؤلم؛ فإنَّه لايحسن بالإتِّفاق من حيث أنَّه لايحسن إيلام زيد لينتفع عمرو؛ و لاينتفع زيد أصلاً .. و قد إنكشف و صحَّ بجميع مابيَّنَّاه أنَّ الآلام الَّتي ليست مستحقَّه قد تحسن للنَّفع و غيره من الوجوه الَّتي أشرنا إليها ..»[4]

و على أساس هذه العبارات يكون بعض الإماميَّة و المعتزلة؛ مثل الحمصي و الرَّازي و عبَّاد بن سليمان قد بيَّنوا النَّظريَّة الثَّالثة ..

و يقول مؤيِّدو الرَّأي الأوَّل و الثَّاني في ردِّ الرَّأي الثَّالث: إن كان الشَّر و الألم لطفاً و يؤدِّي إلى الطَّاعة؛ و كانت نتيجة الطَّاعة ثواباً، فإنَّ هذا المقدار لعدم قبح الشَّر

---

١. الحلِّي، كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، ص ٣٣١.

٢. الحلِّي، أنوار الملكوت في شرح الياقوت، ص ١٢٤.

٣ الفاضل المقداد، إرشاد الطَّالبين إلى نهج المسترشدين، ص ٢٨١.

٤. الحمص الرَّازي، المنقذ من التَّقليد، ج ١، ص ٣٢١، الحسيني الطِّهراني، توضيح المراد، ص ٦٢٥. يوسفيان، كلام إسلامي (فارسي) شرح على كشف المراد، ص ٤٥٦-٤٥٨.

الكرونا والشُّرور والمعتقدات الدِّينيَّة

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

غير كافٍ، لأنَّ الثَّواب في مقابل الطَّاعة دون الشَّر، و الطَّاعة لاتحتسب نفعاً، فيلزم وجود العوض و النَّفع.

و كتب العلَّامة الحلِّي بهذا العدد:

« إنَّ الألم غير المستحقِّ لولا إشتماله علىٰ النَّفع أو دفع الضَّرر كان قبيحاً، و الطَّاعة المفعولة لأجل الألم ليست بنفع؛ و الثَّواب المستحقّ عليها يقابل الطَّاعة دون الألم، فيبقىٰ الألم مجرَّداً عن النَّفع، و ذلك قبيح ».[1]

و في ردِّ هذا الإشكال ينبغي القول: أي نفع أعلىٰ من طاعة تستوجب سعادة الدُّنيا و الآخرة؟ مثال ذلك: إذا كان ما يقابل البلاء الَّذي يؤدِّي إلىٰ فقدان ألف تومان، أن يعطي الله ألفي تومان .. فهذا نفع .. أمَّا إذا دفع الله الإنسان ببلاء ما إلىٰ طاعة نتيجتها سعادة الدُّنيا و الآخرة و لذَّة أبديَّة .. أليس هذا إيصالاً للنَّفع من قبل الله؟ واضح أنَّه نفع، و هو أكبر بما لايوصف و لايحصىٰ من الألفيْ تومان ..

و علىٰ هذا؛ فإنَّ من بين وجهات النَّظر الثَّلاث المطروحة بين المتكلِّمين، فإنَّ وجهة النَّظر الثَّالثة هي الأصحّ؛ كما يبدو .. و علىٰ أساس هذا الرَّأي؛ فإنَّ اللُّطف أو العوض يمكن أن يخرجا الشَّر عن كونه و صفته ظلماً، و عن كونه ذلك عبثاً.

و هنا نطرح وجهة نظر أو نظريَّة رابعة، و هي:

إذا كانت الحكمة من الشَّر امتحاناً، و كان الإمتحان ـ من جهة ـ يؤدِّي إلىٰ إيضاح و تحديد منزلة الإنسان و موضعه من الحياة الأبديَّة، و من جهة أخرىٰ كانت فيها قابليَّة اللُّطف و إعادة الإنسان إلىٰ الله و الطَّاعات و سعادة الدُّنيا و الآخرة .. و لكن إن لم يستفد الإنسان بإرادته و اختياره من هذه القابليَّة و لم ينجح في إمتحانه، فإنَّ هذا الشَّر ليس قبيحاً و ليس مخالفاً للعدل و الحكمة .. و دليل عدم كونه مخالفاً للحكمة؛ إنَّ حكمة الشَّر إمتحان و لطف. و دليل كونه غير مخالف للعدل، أنَّ الشرّ هذا لنفع الإنسان و فيه كماله، فإن لم ينتفع ضد الإنسان و لم يبلغ عبره الكمال، فالمقصِّر هو دون الله تعالىٰ ..

و في هذا الرَّأي الرَّابع؛ يكون اللُّطف المقرَّب للشَّر كافياً، بمعنىٰ أنَّ الشَّر إذا قرَّب الإنسان إلىٰ الطَّاعة و أوجد فيه الدَّافع و الدَّاعي فيه إلىٰ مضاعفة الطَّاعات كان

---

١. الحلِّي، كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، ص ٣٣١.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

كافياً .. أمَّا في الرَّأي الثَّالث؛ فالشَّر لابدَّ منه أن يتحمَّل به الشَّخص الألم ليحصل اللُّطف و يؤدِّي الطَّاعة ..

و يبدو أنَّ وجهة النَّظر الرَّابعة أنسب إلىٰ العقل و الوحي .. فأمَّا الدَّليل العقلي؛ فقد رأينا بيانه فيما مرَّ .. و أمَّا الدَّليل النَّقلي علىٰ النَّظريَّة الرَّابعة أنَّ القرآن المجيد و الرِّوايات الكريمة قد ذكرت أنَّ حكمة الشَّرّهي الإبتلاء و الإمتحان، ولم يرد القول فيهما عن وجوب العوض .. و طبعاً يمكن أن توجد شواهد توحي و تفيد بأنَّه تبارك و تعالىٰ يعطي العوض عليه أيضاً .. و لكن يبقىٰ هذا العوض فضلاً و كرماً منه، دون أن تثبت وجوباً للعوض .. و اللُّطف أيضاً بمعنىٰ قابليَّة التَّذكّر و العودة إلىٰ الله و كمال الإنسان قد ذكر في الآيات و الرِّوايات. أمَّا كونه بمعنىٰ ضرورة بلوغ الإنسان إلىٰ الكمال؛ فلا يفهم في القرآن و الرِّوايات .. كما يشير واقع التَّجارب أنَّ بعض الأفراد قد بلغوا الكمال بالشُّرور ... فيما البعض لم يحقِّقوا لأنفسهم كمالاً، بل إنَّهم استبدلوا الشَّر الإبتدائي بالشَّر النَّهائي .. و سننقل آيات و روايات البحث هذا في البحث القادم، يعني: بحث الشَّر و الحكمة الإلهيَّة ..

و يمكن أن يرد إشكال مصداقي علىٰ الرَّأي و وجهة النَّظر الرَّابعة، فيقال: الشَّر الإبتدائي و غير العقابي لطفٌ حتماً .. بمعنىٰ أنَّ الكمال و القرب من الله لابدَّ أن يتحقَّق للشَّخص المبتلىٰ بالشَّر الإبتدائي .. و علىٰ هذا؛ فإن النَّظريَّة الرَّابعة و إن كانت متفاوتة في المفهوم مع النَّظريَّة الثَّالثة، إلَّا أنَّها تعود عليها مصداقاً .. و ليس ثمَّ من مورد بين ايدينا يؤدِّي إلىٰ أنَّ الألم الإبتدائي الَّذي فيه قابليَّة اللُّطف، و لايبلغ هذا اللُّطف مرحلة الفعليَّة ..

إيضاح ذلك؛ أنَّ أكثر النَّاس مبتلون بأنواع المعاصي، مثل الغيبة و التُّهمة و الكذب و بذاءة القول و سوء الظَّن و ترك الواجبات العباديَّة .. و الأنبياء و المعصومون عليهم الصَّلاة و السَّلام؛ و المؤمنون الخواصّ، هم البعيدون عن المعصية .. و عليه؛ يمكن القول: إنَّ أكثر الشُّرور استحقاقيَّة عقابيَّة .. و عليه؛ فإنَّ الشُّرور الإبتدائيَّة مختصَّة بالأنبياء و المعصومين b و خواصِّ المؤمنين .. و من جهة أخرىٰ؛ نحن نعلم بأنَّ الشَّر لهؤلاء الجَّماعة لابدَّ أن يكون في سياق اللُّطف و يؤدّي إلىٰ التَّقرب إلىٰ الله و إلىٰ الكمال .. و ذلك أنَّ الأولياء الأفذاذ لاريب في أنَّهم يصبرون

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

علىٰ الشُّرور و يبلغون الكمال .. و علىٰ هذا الأساس؛ ليس ثمَّ مصداق للنَّظريَّة الرَّابعة، و أنَّ هذه النَّظريَّة مجرَّد فرضٍ عقلي، أي أنَّنا فرضنا إن كانت حكمة الشَّرِّ الإبتدائي إختباراً و لايبلغ الشَّخص الكمال بالشُّرور فلا إشكال أيضاً، و لكن بناء علىٰ البحث المصداقي الأخير فإنَّ هكذا مصداق غير متحقِّق في الخارج.

و لدىٰ الإجابة علىٰ هذا الإشكال يمكن القول: لايلزم أن تكون جميع الشُّرور بمثابة العقاب للمذنبين العصاة، إذ من الممكن أن يعفوالله عن ذنب المذنب، أو أخَّر العقاب إلىٰ البرزخ أو الآخرة فيما جعل الشَّرّإختباراً أوإرادة في بلوغ الكمال و رفعاً للدَّرجة .. و هكذا يتوفَّر المصداق للنَّظريَّة الرَّابعة، و هوأنَّه تعالىٰ يختبر العاصي بالشَّر فيعرِّضه لبلوغ الكمال .. فيستثمر العاصي هذه الفرصة أو لايستثمرها، و في الصُّورة الثَّانية يكون ثمَّ مصداق للنَّظريَّة الرَّابعة ..

و فضلاً عن أنَّ من الممكن أن يكون الشَّخص من الأولياء الإلهيِّين و لم يمكن عاصياً، و لكنَّه لايتَّخذ موقفاً صائباً تجاه الشرّغير العقابي؛ و له القابليَّة علىٰ بلوغ الكمال فلا يتبدَّل الشرّبالنسبة له عامل تقرب إلىٰالله .. و يبدو أنَّ الشَّيطان إبليس قبل صدور الأمر إليه بالسُّجود لآدم عليه السلام، و كذا بلعم بن باعوراء كانا مصاديث لهذا الإحتمال.

أمَّا فيما يرتبط بالشَّرِّالأخلاقي؛ فينبغي القول: مع أنَّ البشر هم منشأ الشَّرّ، و لكن حيث أنَّالله تعالىٰ قد منحهم القدرة و الإختيار .. فارتكبوا بالقدرة و الإختيار هذين أذىً و ظلماً للآخرين .. فكانت لله مسؤوليَّة في هذا الإطار .. و من هنا؛ يلزم استيفاء حقّ المظلوم من الظَّالم، و هذا مايدَّعي بالإنتصاف .. و قد قال العلَّامة الحلِّي لدىٰ إيضاح عبارة الخواجة نصير الطُّوسي القائلة: «الإنتصاف عليه تعالىٰ واجب عقلاً و سمعاً»:

« أمَّا من حيث العقل؛ فلأن ترك الإنتصاف منه تعالىٰ يستدعي ضياع حقّ المظلوم؛ لأنَّه تعالىٰ مكَّن الظَّالم و خلَّىٰ بينه و بين المظلوم مع قدرته تعالىٰ علىٰ منعه و لم يمكّن المظلوم من الإنتصاف، فلولا تكلُّفه تعالىٰ بالإنتصاف لضاع حقّ المظلوم؛ و ذلك قبيح عقلاً».[1]

١. نفس المصدر، ص ٣٣٥.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

بخصوص انتصاف‌الله و استيفاء حقّ المظلوم من الظَّالم من قبل الله؛ و إن كان له شواهده النَّقلية، و لكن يبدو أنَّه لاواجب ـعقلاً ـ علىٰ‌الله أن ينتصف، و هذا ماتقدَّم فيه القول في النَّظريَّة الرَّابعة، و هنا أيضاً جدير بالتَّناول ..

إنَّ إيضاح مسألة حيازه القدرة علىٰ الإختيار هو بمثابة الكمال لجميع أفراد الإنسان و أرضيَّة لإستنزال اللُّطف و التَّعالي .. و لكن جمعاً من النَّاس يبدِّلون هذا الكمال إلىٰ ما هو ضدّ للُّطف و يسيئون الإستفادة و يظلمون الآخرين .. و هؤلاء الظَّالمون مستحقُّون للعقاب .. و لكن المظلوم قادر علىٰ مواجهة الظُّلم بصورة صحيحة؛ و هو بذلك له أن يتقرَّب إلىٰ‌الله و الدِّين و يحرز لنفسه سعادة الدُّنيا و الآخرة .. إذن؛ فإعطاء البشر القدرة علىٰ الإختيار الصَّائب، هو كما الشُّرور الطَّبيعيَّة أرضيَّة لإحراز التَّكامل .. و هذا المقدار كافٍ للقول بحسن إعطاء قدرة الإختيار للنَّاس، و لاحاجة إلىٰ القول بمسألة الإنتصاف .. و لاريب في أنَّ سنَّة‌الله تستدعي أن تتمَّ عقوبة للظَّالم ـ وعموم حقّ النَّاس ـ بهذه الصُّورة، حيث ينتقص من ثواب بمقدار ظلمه و يجعله في حساب المظلوم .. مع أنَّه ـعقلاً ـ له القدرة علىٰ أن يعاقب الظَّالم بصور أخرىٰ.

٥- الشُّرور و الحكمة الإلهيَّة

أحد الأسئلة الرائجة اليوم بخصوص وباء كرونا، و باقي الشُّرور عموماً هو: ما هي حكمة هذه الشُّرور؟ في البحث السَّابق، أي: بحث «الشَّر و العدل الإلهي» أشرنا إلىٰ حكم الشُّرور الاستحقاقيَّة؛ العقاب و الجزاء علىٰ المعصية، و أنَّ حكمة الشُّرور الإبتدائية؛ الإمتحان و اللُّطف و تكامل البشر.. و هنا سنبيّن هذه الخلاصة علىٰ أساس الآيات و الرِّوايات ..

و بعد بيان حِكم الشُّرور العقابيَّة و غير العقابيَّة، سنتناول الحِكم العامَّة؛ و هي الشَّاملة للقسمين، أي: الإختبار ..

حكمة الشُّرور العقابيَّة

بناءً علىٰ آيات متعدِّدة من القرآن الكريم؛ فإنَّ جميع الشُّرور الإستحقاقيَّة و العقابيَّة هي نتيجة ذنوب البشر:

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثير﴾[1]

﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس﴾[2]

و قد أوضحت بعض الآيات أنَّ النَّاس لو كفُّوا أيديهم عن المعاصي و آمنوا و اتَّقوا؛ لتنزَّلت عليهم البركات الإلهيَّة من السَّماء و الأرض:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْض﴾[3]

فالأفراد المبتلون بهذا النَّوع من الشُّرور يقسّمون إلىٰ قسمين عامّين .. القسم الأوَّل: أفراد خاضعون لغضب الله، و هو سبحانه يتعامل معهم علىٰ أساس عدله الَّذي يقتضي عقاب المسيئين .. و ثمَّ أقوام و أمم تعرَّضوا عبر التَّاريخ للعذاب الإلهي الصَّارم، و هم من هذا القبيل .. و القرآن الكريم قد ذكر مصيرهم بقوله:

﴿فَكُلاًّ أَخَذْنا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِ حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا، وَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُون﴾[4]

و فريق آخر يبتلون بالشُّرور العقابيَّة، و هم الَّذين يعرّضهم الله ـ من باب اللُّطف و الكرم و عدم الإرادة في تعريضهم للشَّقاء و الشُّرور النِّهائيَّة و الأبديَّة ـ للمصاعب و المصائب.

مع أنَّ الحكمة العامَّة للشُّرور إزاء الفريق الثَّاني، تبدو في العقوبة المقرونة إلىٰ اللُّطف و الرجوع إلىٰ الله و طاعته و بلوغ الكمال. أمَّا الحِكم الأكثر فرعيَّة في إبتلاء هؤلاء الأفراد بالشُّرور، فقد ذكر في الآيات و الرِّوايات.

و إحدىٰ هذه الحِكم الجزئيَّة؛ و إلىٰ جانب معاقبة المذنبين من الفريق الثَّاني؛ فهي الرُّجوع عن الإنحراف و الإتِّجاه نحو المسار الصَّحيح .. يقول القرآن بهذا الخصوص:

---

١. سورة الشُّورىٰ /٣٠

٢. سورة الرُّوم /٤١. و كذا يرجع إلىٰ الآيات: آل عمران / ١٦٥، الأنعام / ٥٩، القصص /٦، الأعراف /٩٥. .

٣. سورة الأعراف /٩٦.

٤. سورة العنكبوت /٤٠.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

﴿ظَهَرَ الْفَسادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]

و حكمة أخرىٰ بهذا الصَّدد؛ التَّذكُّر و العبرة، يقول القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[2]

و من جملة هذه الحِكم الدَّفع إلىٰ الإستغفار عن الذُّنوب، يقول الإمام الصَّادق عليه السلام بهذا الصَّدد:

«إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنَقِمَةٍ وَ يُذَكِّرُهُ الِاسْتِغْفَار»[3]

و من الحِكم الجزئيَّة الأخرىٰ؛ تأديب الظَّالم؛ و الهدف منه: الإعادة إلىٰ المسار الصَّحيح .. قال أميرالمؤمنين ع؟:

«الْبَلَاءَ لِلظَّالِمِ أَدَب».[4]

و في النُّصوص الرِّوائيَّة المذكورة أعلاه جملة من الحِكم، إذ إعتبر الإمام علي عليه السلام عدَّ التَّوبة، الرُّجوع عن الذَّنب و التَّذكير و الإبتعاد عن المعاصي عناوين للحكم الجزئيَّة للشُّرور العقابيَّة:

«إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَ حَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَ إِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَ يُقْلِعَ مُقْلِعٌ وَ يَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ وَ يَزْدَجِرَ مُزْدَجِر»[5]

و من الحِكم المرتبطة بالمجموعة الثَّانية؛ و الَّتي طالما أوردتها مصادر الشِّيعة و المخالفين كثيراً؛ التَّطهير من المعاصي، إذ نقل عن النَّبي الأكرم صلى الله عليه و آله:

«الْمُؤْمِنُ يُكَفَّرُ ذُنُوبُهُ بِسَبَبِ الْإِيذَاءِ وَ الْمَصَائِب».[6]

---

١. سورة الرُّوم /٤١.
٢. سورة الأعراف /١٣٠.
٣. الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٥٢.
٤. المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨١، ص ١٩٨.
٥. الرَّضي، نهج البلاغة، الخطبة ١٤٣.
٦. الشَّعيري، جامع الأخبار، ص ١٢٤.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

و قال ﷺ في موضع آخر:

«مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَ لَا نَصَبٍ وَ لَا سَقَمٍ وَ لَا حُزْنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهِمُّهُ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»[1]

و الإمام الصَّادق عليه السلام يقول:

«للهِ فِي السَّرَّاءِ نِعْمَةُ التَّفَضُّلِ وَ فِي الضَّرَّاءِ نِعْمَةُ التَّطَهُّرِ».[2]

و الإمام الباقر عليه السلام يقول:

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ إِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ أَنْ يُكْرِمَ عَبْداً وَ لَهُ ذَنْبٌ ابْتَلَاهُ بِالسُّقْمِ. فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَهُ ابْتَلَاهُ بِالْحَاجَةِ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذَلِكَ، شَدَّدَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ لِيُكَافِيَهُ بِذَلِكَ الذَّنْب».[3]

و هكذا تفعل المشاكل و المصاعب فعلها في المؤمن فتساهم في تطهيره من آثار الذُّنوب؛ ليدخلوا الجَّنة في القيامة لعقائدهم و قلوبهم السَّليمة و أعمالهم الصَّالحة .. قال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«الْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ تَمْحِيصَ ذُنُوبِ شِيعَتِنَا فِي الدُّنْيَا بِمِحَنِهِمْ؛ لِتَسْلَمَ لَهُمْ طَاعَاتُهُمْ وَ يَسْتَحِقُّوا عَلَيْهَا ثَوَابَهَا».[4]

حكمة الشُّرور غير العقابيَّة

إذا ما أمعنَّا النَّظر في حياة الأنبياء و الأولياء الإلهيَّين، نجدهم أكثر من غيرهم قد تعرَّضوا للمصائب و المصاعب، و لكن بالنَّظر إلىٰ كونهم معصومين؛ فإنَّ حكمة الشُّرور بالنِّسبة لهم لايمكن أن تكون عقاباً علىٰ المعاصي و تطهيرهم من الخبائث، و من هنا؛ يرد السُّؤال عن حقيقة حكمة الشُّرور غير العقابيَّة بهذا الصَّدد؟

ذكر في الأحاديث و الرِّوايات أنَّ حكمة هذه الشُّرور؛ عبارة عن التَّكامل و بلوغ الدَّرجات

---

١. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٩٣. و يراجع أيضاً: ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٨.
٢. ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٦١.
٣. الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٤٤.
٤. المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٢٣٢.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

الأعلىٰ .. و قد سأل عليّ بن رئاب الإمام الصَّادق عليه السلام عن قوله تعالىٰ: ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْديكُم﴾[1] مع أنَّ أميرالمؤمنين و أهل بيته صلوات‌الله عليه و عليهم، معصومون، فكيف يكونون مصاديق لهذه الآية الكريمة؟ فأكَّد عليه السلام بأنَّ هذه الآية ليست في المعصومين، و ذلك أنَّ رسول‌الله صلى الله عليه وآله كان يستغفر ربَّه سبعين مرَّة في اللَّيل و النَّهار دون أن يصدر عنه ذنب واحد .. و أضاف الإمام الصَّادق عليه السلام قائلاً:

«إِنَّ اللهَ يَخُصُّ أَوْلِيَاءَهُ بِالْمَصَائِبِ لِيَأْجُرَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْب».[2]

و كذا قال عليه السلام:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَا يَبْلُغُهَا عَبْدٌ إِلَّا بِالابْتِلَاءِ فِي جَسَدِهِ».[3]

و هكذا شرور هي من باب الفضل و الرَّحمة بأولياء الله، بإعتبار أنَّ هذه الشُّرور البسيطة بمثابة مقدِّمة و وسيلة إلىٰ نيل الخيرات الأبديَّة .. و من هنا؛ فإنَّ الأفراد الأحبَّ إلىٰ‌الله تبارك و تعالىٰ أكثر عرضة للإبتلاء بالشُّرور غير العقابيَّة .. قال مولانا الإمام الصَّادق عليه السلام:

«إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ»[4]

و جاء في رواية أخرىٰ:

«إِنَّمَا يَبْتَلِي اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى عِبَادَهُ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ».[5]

جدير ذكره؛ أنَّ كلّ إنسان ـ معصوماً كان أو غير معصوم ـ إذا ماصبر علىٰ الشُّرور الإبتدائيَّة و المصائب؛ و اتَّخذ إزاءها موقفاً واعياً، صارت هذه الشُّرور المحدودة خيراتٍ غير محدودة و أبديَّة [و هذا هو قانون الإستبدال]. و عليه؛ فإنَّ الشُّرور غير العقابيَّة غير منحصرة في المعصومين و غيرهم، إذ أنَّ جميع الشُّرور الَّتي تنال المعصومين شرور غير عقابيَّة .. أمَّا الشُّرور الَّتي تصيب غير المعصومين؛ فيمكن أن تكون عقابيَّة أو غير عقابيَّة؛

---

١. سورة الشُّورىٰ / ٣٠.
٢. الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٤٥٠.
٣. نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٥٥.
٤. نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٥٢.
٥. المفيد، الأمالي، ص ٢٤.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

وإن لم يكونوا قد ارتكبوا ذنوباً، إذ يمكن أن يكون الله تعالىٰ قد غفرها له؛ أو كان قد عاقبه في الدُّنيا أو سيعاقبه فيما بعد؛ في الدُّنيا و الآخرة ..

الحكمة العامَّة للإمتحان

الشُّرور و كذا الخيرات، بغضِّ النَّظر عن كونها تشمل أو تتضمَّن حكماً خاصَّة إزاء العاصين أو غير العاصين، فهي أيضاً تتضمَّن حكماً عامَّة تشمل الجميع، و منها: الإمتحان و التَّمحيص .. و القرآن العظيم يبيّن هذا المطلب في بعض آياته، فيقول:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنا تُرْجَعُون﴾.[1]

و قال أيضاً:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرين﴾.[2]

و قال تعالىٰ في موضع قرآني آخر:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُم﴾.[3]

و في بيان آخر، قال عزَّ من قائل:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمين * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكافِرين * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرين﴾.[4]

حكمة الشُّرور الخاصَّة بالأطفال

لاتصدق إحدىٰ الحكم المذكورة بخصوص الشُّرور علىٰ الأطفال الَّذين لم يبلغوا رشدهم و لم يدخلوا مرحلة التَّمييز، إذ الأطفال لم يذنبوا فيعاقبوا، و هم ليسوا في سنٍّ

---

١. سورة الأنبياء / ٣٥.
٢. سورة البقرة / ١٥٥.
٣. سورة محمد / ٣١.
٤. سورة آل عمران / ١٤٠–١٤٢.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]

ليبلغوا الكمال بالتَّعرُّض للشُّرور، كما أنَّ إختبارهم لا معنىٰ له .. فيلزم أن تكون ثمَّ حكم أخرىٰ في البين .. و الإحتمالات أدناه يمكن أن تُتناول في هذا الإطار:

١- يمكن أن يكون للشَّرّ حِكمٌ تطال الآخرين، كالإختبار الموجَّه للآباء و الأُمَّهات عن طريق إصابة الطِّفل بنوع من الآذىٰ .. و لاريب أنَّ هذا الإحتمال و هذه الإجابة غير كافيين في المقام، لأنهما لا يوضحان حكمة الشَّر بالنِّسبة للأطفال أنفسهم.

٢- يمكن أن يترك الشَّرّ أثراً في الطِّفل ينتفع منه في المستقبل حين تعرِّضه للامتحان بعد بلوغه ..

٣- قد سُئل الإمام الصَّادق عليه السلام عن حكمة الشَّر و مرض الطِّفل بالنسبة له، إذ قيل له: فبمَ استحقّ الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع و الأمراض بلا ذنب عمله، و لا جرم سلف منه؟ فأجاب الإمام عليه السلام قائلاً مؤكِّداً:

«إنّ المرض علَى وجوه شتَّى؛ مرض بلوَى .. و مرض العقوبة .. و مرض جُعل علّةً للفناء».[1]

و بناءً علىٰ هذا النَّصِّ الشَّريف، تكون الحكمة من الإصابة ببعض الأمراض، فيما الحكمة الأخرىٰ تتضمَّن العقاب، و الحكمة الثَّالثة وضع خاتمة لحياة المبتلىٰ، كما هي حكمة البلاء الموجَّه إلىٰ الأطفال .. حيث لا مورد للحكمة الأولىٰ و الثَّانية .. فإذا ما مات الطِّفل و غادر الدُّنيا متأثِّراً بالبلاء، كان هذا البلاء وسيلة لإنهاء حياته .. و الحياة فضل و كرم من جهة الله تعالىٰ، و هو يستردَّهما متىٰ ما شاء، و إنَّ إحدىٰ وسائل هذا الإسترداد قطع الحياة ..

و عليه؛ يسنح القول إنَّ المرض الَّذي يصيب الطِّفل الصَّغير يمكن أن يكون إختباراً أو عقاباً للآخرين أو رفعاً لدرجاتهم، أمَّا بالنِّسبة للطِّفل نفسه، فقد تكون حكمته قطع حياته أو إختباراً تأهيليّاً لشخصيَّته و مواقفه المستقبليَّة بعد البلوغ .. و لعلَّ حِكماً أخرىٰ في البين نحن نجهلها ..

جدير ذكره أنَّ جواب أكثر المتكلِّمين بخصوص هذه المسألة اقتصر علىٰ نظريَّة العوض و اللُّطف الَّتي تناولناها سلفاً .. و العوض للطِّفل نفسه، و فيما اللُّطف يمكن أن يكون للطِّفل أو للآخرين ..

---

١. الطَّبرسي، الإحتجاج علَى أهل اللِّجاج، ج ٢، ص ٣٤١.

[Downloaded from lava-al-hamd.ir on 2025-08-02]